الفصل الخامس

البحث الأول : تحليل أسباب الغُلُوِّ والتَّطرّفِ في الدِّين .

البحث الثاني : معالجة أسباب الغُلُوِّ والتَّطرّفِ .

obeikandl.com

obeikandl.com

البحث الأول

تحليل أسباب الغُلُوِّ والتَّطرّفِ في الدِّين

إنَّ ظاهرةَ الغُلُوِّ والتَّطرّفِ في الدِّين قديمةٌ ، ترجعُ جذورها إلى الجاهلية ، حيث كان المشركون مُغالين في شِركهم ، متطرفين في عقائدهم الوثنية الشريرة ، فقد كذّبوا بالحقِّ وهم عليه شُهود ، وعارضوا الحقائق بالأوهام ، والظّنون ، ولهذا نجدُ كلَّ صاحبِ غلوٍ ينزعُ إلى أصلٍ جاهلي ، إما تكذيب . . . وإما معارضة . . . وإن نجا من هذين الأصلين ينزعُ إلى الجهلِ وعدمِ الفهم . . .

وحديثُ « ذي الخُويصرة » الذي تبدو فيه بذورُ الغُلُوِّ ، حين عابَ على رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ قسمتهُ للغنائم ، وفيه قال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ : « إنَّ من ضئضىء هذا قوماً يقرأون القرآنَ لا يُجاوز حناجرَهم ، يقتلون أهلَ الإسلام ، ويدَعون أهلَ الأوثان » [صحيح البخاري ٩/ ٢١/ وصحيح مسلم ٢/ ٧٤١] .

والناظرُ في الغُلاةِ وأهلِ التَّطرّفِ يجدهم على تكرار العصور تربط بينهم خصائص معينة ، وتجمعهم أوصافٌ بيِّنةٌ تكادُ تكون مطردةً فيهم ، وقد ذكر العلماء لهم أوصافاً إجماليةً وتفصيلية ، تقدّم الكلامُ عليها ، وذلك في الأبحاث المتقدّمة .

ومنشأ الغُلُوِّ يعود إلى نوعين : اعتقادي وعملي .

فالغُلُوُّ الاعتقادي : ما كان متعلقاً بباب العقائد فهو محصورٌ في الجانب

الاعتقادي الذي يكون منتجاً للعمل بالجوارح ، وأمثلة هذا النوع كثيرةٌ منها : الغلو في الأئمة وادّعاء العصمة لهم ، والغلو في الشيوخ وادّعاء الولاية لهم ، أو الغلو في البراءة من المجتمع العاصي ، وتكفير أفراده واعتزالهم .

ويدخل في الغُلُوِّ الكُلّيّ الاعتقاديّ : الغلو في فروعٍ كثيرة ، إذ أنَّ المعارضة الحاصلة به للشرع مماثلة لتلك المعارضة الحاصلة بالغلو في أمر كليّ . [انظر كتاب الاعتصام للشاطبي ج٢/ ٢٠١] .

والغلو الكلي الاعتقادي أشدُّ خطراً ، وأعظمُ ضرراً من الغُلُوِّ العملي ، إذ الغُلُوُّ الكلي الاعتقادي هو المؤدي إلى الانشقاقات ، وهو المظهرُ للفرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم .

ولقد أجمل رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ وصفَ هؤلاء في أمرين :

الأمر الأول : عدم فهم القرآن ، يقول رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ : « يقرأون القرآنَ لا يُجاوزُ حناجرَهم » أي أنهم يأخذون أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه ، وهم لا يتفقهون فيه ، ولا يعرفون مقاصده [الاعتصام للشاطبي ج٢/ ٢٢٦] . قال الإمام النووي : المراد أنهم ليس لهم فيه حظٌ إلا مروره على ألسنتهم ، لا يصل إلى حلوقهم فضلاً عن أن يصل إلى قلوبهم ، لأنَّ المطلوب تعقلُهُ وتدبره بوقوعه في القلب . [فتح الباري ج١٢/ ٢٩٣] .

وعدم فهمهم لمقاصد القرآن يجعلهم يأخذون آياتٍ نزلتْ في الكفار فيحملونها على المسلمين ، فقد قال عبد الله بن عمر رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُما في الخوارج : « إنهم انطلقوا إلى آياتٍ نزلتْ في الكفار فجعلوها على المؤمنين » [ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً ج٩/ ٢٠] . ومن مظاهر عدم فهمهم للقرآن اتباع متشابهه ، كاستشهاد الخوارج على إبطال التحكيم ـ بين أصحاب علي وأصحاب معاوية ـ بقوله تعالىٰ : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام : ٥٧] . ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف : ٦٧] . فالمعنى المأخوذ من الآية صحيحٌ في الجملة ، وأما على التفصيل فيحتاج إلى بيانٍ ، ولذلك ردّ عليهم الإمامُ علي بن أبي طالب رضي اللهُ تعالىٰ عنهُ فقالَ في مقولتهم هذه : « كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطلٌ » . [صحيح مسلم ج٢/ ٧٤٩/ كتاب الزكاة : باب التحريض على قتل الخوارج ،

وقد وردَ هذا الأثر في قصة علي مع الخوارج ضمن حديث في صحيح مسلم] .

الأمر الثاني : في وصف أهل الغُلُوِّ : تكفير المؤمنين واستحلال دمائهم ، فقد قال رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ : « يقتلون أهلَ الإسلامِ ، ويدَعُونَ أهلَ الأوثانِ » . وهذا الوصف يشترك فيه جميعُ أهلِ الغُلُوِّ والتَّطرّفِ ، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ في الفتاوى ج١٩/ ٧٣ : الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع أنهم يُكفِّرون بالذّنب والسيئاتِ ، ويترتب على تكفيرهم بالذّنوبِ استحلال دماء المسلمين وأموالهم ، وأنَّ دارَ الإسلام دارُ كفرٍ ، ودارهُم هي دارُ الإيمان .

وكذلك يقولُ الغُلاةُ والمتطرفون .

واستحلالهُم دماء المسلمين نتيجةً لغلوِّهم وابتداعهم ، إذ يرون من ليس على طريقتهم ، خارجاً عن الإسلام حلاَلَ الدّمِ ، وهذا شأن صاحب كلِّ بدعةٍ وغلوٍ وتطرف ، قال أبو قلابة ـ وهو من أئمة التابعين الحفاظ الثقات ـ : ما ابتدعَ رجلٌ بدعةً إلا استحلَّ السيفَ . [سنن الدارمي ج١/ ٤٤/ باب اتباع السنة] .

وقال أيوب السختياني ـ وهو من فقهاء التابعين ـ : إنَّ الخوارج اختلفوا في الاسم ، واجتمعوا على السيف . [سنن الدارمي ج١/ ٤٥ـ٤٦] .

فأهل الغُلُوِّ والتَّطرّفِ يجمعون في دعوتهم بين الجهل بدينِ الله تعالى ، وبين ظلم عبادِهِ ، وهاتان طامتان خطيرتان على الأمة الإسلامية .

النوع الثاني : **الغلو العملي** ، وهو ما ينشأ من الرغبة العميقة لدى المؤمن من الإكثار من القُرباتِ ، وهي وإن كان أصلها مشروعاً ومرغبَّاً فيه ، غير أنه حين خرجَ فاعلُهُ عن حدّ القصد والاعتدال ، دخل في حدِّ الغُلُوِّ العملي ، كمن يصومُ ولا يُفطر ، ويقومُ الليلَ بالصلاة ولا يفتر .

ولقد عالجَ رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ هذا الغلو العملي ، فعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ قالَ : جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوتِ أزواجِ رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ يسألونَ عن عبادتهِ ، فلما أُخبروا كأنّهم

تقالُّوها ، فقالوا : أين نحنُ من النبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ؟! فقد غفرَ الله له ما تقدمَ من ذنبهِ وما تأخرَ!؟

فقال أحدهم : أما أنا فأصلي الليلَ أبداً ، وقالَ آخرُ : أنا أصومُ الدّهرَ لا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ فقال : « إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصومُ وأفطر ، وأُصلي وأرقد ، وأتزوج النساءَ ، فمن رغبَ عن سنتي فليس مني » . [صحيح البخاري ج٧/ ٢/ وصحيح مسلم ج٢/ ١٠٢٠] .

فاستنكرَ رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ هذا الغُلُوَّ العملي ، وجعلَهُ خروجاً عن سنته وهديه ، مع أنَّ أصل تلك الأعمال مشروعة ، غير أنَّ اعتزالَ النساءِ إنما يكونُ أيامَ الجهادِ في سبيل الله ، فهو تبتلٌ مؤقتٌ غيرُ دائم .

وهناكَ أحاديث أخرى وردَ فيها معالجةُ رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ لحالات الغُلُوِّ العملي التي وقعتْ من بعض أصحابه .

ولهذا كان مقياسُ الإكثار من التعبد قولُ الله تعالىٰ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] . فالاستجابةُ للمنهج العملي مشروطةٌ بالقدرة والاستطاعة .

فهذا تحليلٌ مجملٌ عن أسبابِ الغُلُوِّ والتَّطرّفِ في الدِّين ، وقد تقدّم في أبحاث الكتاب أهمُّ المعالجات الشرعية حولَ كلِّ مشكلةٍ من مشاكلِ الغُلُوِّ والتَّطرّفِ التي تعرضنا لمعالجتها في ضوء الكتاب الحكيم والسنة النبوية المُطهّرة .

* * *

البحث الثاني
معالجة أسباب الغُلُوِّ والتَّطرّفِ

إنَّ معالجةَ أسبابِ الغُلُوِّ والتَّطرّفِ مهمةٌ مشتركة بينَ جميعِ الدُّعاة والعلماءِ والفقهاءِ والمدرسين والباحثين والمثقفين ، وليستْ مهمةَ الحاكم الذي يملك قوةَ البطشِ بالغُلاة والمتطرفين ، بل هي قضيةُ كلِّ قادرٍ من الأمة على المشاركة في معالجة أسباب الغُلُوِّ والتَّطرّفِ .

وأهمُّ وسائل هذه المعالجة هي :

أولاً : الاعتقاد الصحيح الذي كان عليه أصحابُ رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ والتابعون والأئمة المجتهدون ، وهو ما جاء في كتاب الله تعالىٰ وفي سنةِ رسولهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ ، مع الإيمان الجازمِ والتصديق الكاملِ بالله تعالىٰ وبصفاتهِ من غير تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ولا تأويلٍ ولا تعطيلٍ ، وبالملائكةِ ، والكتبِ ، والرسلِ ، واليومِ الآخر ، وبالقدرِ خيرهِ وشرّه ، وأن يكون هذا الإيمان على ما كان عليه سلفُ هذه الأمة ، قال الأمامُ الشافعي : آمنتُ بالله تعالىٰ وما جاء عن الله على مُرادِ اللهِ تعالىٰ ، وآمنتُ برسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ وما جاء عن رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ على مُرادِ رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ .

فإنَّ الاعتقادَ الصحيحَ ، والإيمانَ السليمَ من شوائب التأويلات العقلية والمسائل الكلامية ، عصمةٌ للمؤمنِ من الاعتقادات الباطلة والتأويلات الزائفة التي أضلت كثيراً من المسلمين . وإنَّ الغُلُوَّ الاعتقادي الذي يذهبُ إليه الغُلاةُ

والمتطرفون ، هو الخطر الأكبر الذي ابتليت به الأُمة من حينِ نشأتها وحتى زماننا هذا .

إنَّ المتأملَ في مظاهر الغُلُوِّ والتَّطرّفِ في العصر الحديث يراها خارجةً عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، التي هي عقيدة الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين .

وعلى هذا فإنَّ نشرَ العقيدةِ الصحيحة من أهم عواملِ الحفظِ من الغُلُوِّ والتَّطرّفِ في الدِّينِ ، فيجبُ أن تكونَ عامةً بين المسلمين لا تخفى على أحدٍ منهم ، فإنها العاصمةُ من هواجسِ التَّطرّفِ والغُلُوِّ وانحرافهما!!! .

ثانياً : الفقه في الدِّين ، على منهج الأئمة المجتهدين ، الذين تلقوا الشريعةَ المطهرةَ من كتابِ اللهِ تعالىٰ ومن سنةِ رسولهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ ، فإن أهلَ الغُلُوِّ والتَّطرّفِ بعيدون كلَّ البُعد عن الفقه في الدِّين على منهج الأئمة المجتهدين ، والشاهد على هذا انحرافُهم في إصدار أحكامهم الجائرة على المسلمين من تكفيرهم واستباحة دمائهم ، فقد جمعوا مع جهلِهم الجرأةَ على دينِ الله تعالىٰ بما أصدرُوهُ من مفاهيمَ وفتاوٍ باسم الإسلام ، وهي بعيدةٌ عنه كلَّ البُعدِ ، كما تبينّ في أبحاث هذا الكتاب .

إنَّ أصحابَ الغُلُوِّ والتَّطرّفِ لا يروقُ لهم منهجُ الفقهاء ، لما يرون منهم حرصَهم على الالتزامِ بأصولِ الفقه والتشريع ، ولهذا لم نسمعْ بفقيهٍ مُعتبرٍ وافقهُم على اجتهاداتِهم المُبتدعة والمُرتجلة ، المفتقرة إلى قوة الدليل ، ولهذا كانت فتاويهم مصاحبةً للعُنف والإرهاب ، لإخضاع الناس لها!! .

ولذلك كان نشرُ الفقه في الدِّين « فقه القرآن والسنة على منهج الأئمة » بين المسلمين من ألزم الضروراتِ للتخلص من عوامل الغُلُوِّ والتَّطرّفِ في الدِّين!!! ولهذا يجبُ إحياءُ دورِ الرِّيادةِ لعلماءِ الأمة وفقهائها للقيام بواجب تعليم الأُمة فِقْهَ دينها! .

ثالثاً : التحاكم إلى شرع الله تبارك وتعالىٰ ، فإنَّ هذا ممّا تفتقرُ إليه الأُمة في هذا العصر المشحون بالمفاتن والشهوات والمفسدات ، وهذا ما يتزرع به أهلُ الغُلُوِّ والتَّطرّفِ إلى الدعوة إلى منهاجهم ، أنَّ المسلمين لا يتحاكمون إلى

الشرعِ الحنيفِ في خصوماتهم ونزاعاتهم ، بل لا يُقيمونَ معاملاتهم فيما بينهم على هديه ، فتراهم في تزايدٍ من الشحناء والبغضاء لعدم أداءِ الحقوقِ والالتزامِ بالعهودِ ، فهذه الظاهرةُ في المجتمع يجب علاجها ، وإلا ستبقى ذريعةً لأهلِ الغُلُوِّ والتَّطرّفِ لبثّ دعوتهم بينَ الناسِ بأنهم همُ الذين يُقيمون شرعَ اللهِ في الأرض ، لا أحدَ سواهم ، وفاقدُ الشيء لا يُعطيه ، فهم أنفسهم مُخالفون للشرعِ في غلوهم وتطرفهم ، فالتحاكم فيما بينَ الناسِ إلى شرع الله تباركَ وتعالىٰ قطعٌ لدابر الفتن والفساد والغُلُوِّ والتَّطرّفِ!!!

رابعاً : تعميم المنهج الشرعي في الاستدلال والاستنباط للأحكام ، فإنَّ هذا مما يُساعدُ في الكشف عن انحراف أهل الغُلُوِّ والتَّطرّفِ في آرائهم واجتهاداتهم .

وتعميمُ هذا المنهج يستلزمُ تبسيطَ أصولِ الفقه ، وتيسيرَ فهمه ، وتقريبَهُ إلى المثقفين والدّارسين والباحثين في الثقافة الإسلامية ، وهذا بشكل عام ، أما الذين يقومون بحمل الدعوة ، فهم أشدُّ احتياجاً إلى هذا العلم المبارك ، وعلى الأخص « فقه مقاصد الشريعة » فإنه العلم الذي يُبرزُ خصائص الشريعة وشمولها في معالجتها لجميع قضايا الإنسان والحياة والمجتمع!!! .

ومن يجهلُ فقهَ المقاصدِ الشرعية يكونُ ضعيفَ البيانِ لأحكام شريعةِ الإسلام ، وقد أبدعَ الإمامُ الشاطبي في بيانِ هذا العلم الجليل في كتابه المبارك « الموافقات في أصول الشريعة »!!! وقد يسَّرَ اللهُ تعالىٰ لي اختصاره مع دراسة تحليلية لمنهجه فيه ، أسميتُهُ « أصول فقه المقاصد الشرعية » فللهِ الحمدُ على فضلِهِ وكرمِهِ وإحسانِهِ!!! .

خامساً : بناءُ الشخصية الإسلامية لدى أفرادِ الأُمة رجالها ونسائِها ، على حدٍ سواء ، لاعتبار النساءِ نصفَ المجتمع أو أكثر ، وهذا مما يفتقر إليه المسلمون ، فإنَّهم وإنْ كانوا مسلمين بالانتسابِ والظاهرِ ، فإنَّ شخصيتهم الإسلامية ضعيفةٌ ، أو تكاد تكون معدومةً ، وذلك لفشو الجهل في الدِّين ، فكم من المصلِّين يُصلُّون تقليداً ، ويصومون تقليداً ، ويحجون تقليداً ، وكذلك الحالُ في النساء ، والعجيبُ من بعضهن تكونُ لابسةً للحجاب

الشرعي أمام الناس ، وهي لا تُقيمُ صلاتها في بيتها ، أو تُصلي هي ولا تأمر أولادَها بالصلاة ، إلى غير ذلك من الأمور المنافية للشخصية الإسلامية .

إنَّ أهلَ الغُلُوِّ والتَّطرّفِ هم من أبناءِ تلك الأُسرِ المسلمةِ ، ولو كانتِ الأسرةُ متكاملةَ الإسلام لما كان الغُلاةُ والمتطرفون من أبنائها ، فإن النور لا يتولّد عنه إلا الضياءُ ، وإنَّ الظلامَ لا يتولّد عنه إلا العَمَاءُ .

ومن هنا كانتِ الشخصيةُ الإسلاميةُ ضروريةً في بناءِ الأُسرة المسلمة النيّرة الواعية الرّاشدة!!! .

إنَّ ضحايا الغُلُوِّ والتَّطرّفِ هُم من أبناءِ الآباءِ والأمهاتِ الذينَ فقدوا في حياتِهم العمليةِ الالتزامَ بالإسلام ، فنشأ الأبناءُ على حياةٍ ملؤها الخلافاتُ العائلية ، وصخبُ المنازعاتِ الزوجية ، فلا هم يرون الصورةَ الإسلامية المُثلى داخلَ أسرتهم ولا خارجها!؟ فمن أين يأتيهم التصورُ السليم من شوائب الانحراف لحياتهم الإسلامية؟!..

فمن هنا كان بناءُ الشخصيةِ الإسلاميةِ لدى الأبوين أولاً ، بناءً لشخصية أبنائهم ، ومن هنا يبدأ العلاجُ الناجعُ في إصلاحِ المجتمع ، وتتحققُ له الحمايةُ من عوادي الغُلُوِّ والتَّطرّفِ والانحراف! .

ولو أدرك المسلمون أخطارَ فقدِ الشخصيةِ الإسلامية في أفراد الأُمة ، لبادروا إلى تلافيه ، ومهما يكنِ الحالُ في واقع المسلمين ، فإنَّ العلاج لا يزال ممكناً بإذن اللهِ تعالىٰ ، ولكن بشرطِ الجدّيةِ فيه والمبادرةِ إليه ، والمثابرةِ عليه ، لأنَّ الزمانَ يجري سريعاً ، وما فاتَ منه لا يُعادُ!؟ .

إنَّ أُسُسَ بناءِ الشخصية الإسلامية تتكون من استقامةِ الإنسان المسلم ـ رجلاً كان أو امرأةً ـ على المنهج السوي في إحلال ما أحلّه الإسلامُ وتحريمِ ما حرّمهُ ، فيأخذُ بما أحلّه الإسلامُ ، ويتركُ ما حرّمه ، ثم التخلّقُ بأخلاق الإسلام ، والتأدّبُ بآدابه ، والسّيرُ على سلوكهِ ومنهاجه ، فإنَّ هذا مجملُ بناءِ الشخصية الإسلامية!! .

وبهذه الشخصية المتكاملة يبني المسلمون مجتمعهم الإسلامي ، فإنه

مكونٌ من أفرادهم ، فلا يأتي المجتمعُ المسلمُ إلا منهم وبهم ، وهذا ما كان عليه صدرُ هذه الأمةِ في عهدِ النبوةِ ثم في عهدِ الخلافةِ الراشدة ، حيثُ قال اللهُ تبارك وتعالىٰ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

إنّ بناء الشخصية الإسلامية في أفراد الأمة يضمنُ لهم قيامَ التكافل الاجتماعي في بناء الدولة الإسلامية ، إذْ أنَّ شعورَ أفراد الأمة الإسلامية بمسؤوليتهم جميعاً عن تصرفاتِ الأفراد ، يُضيِّقُ الخناقَ على فشو ظاهرة الغُلُوِّ والتَّطرّفِ في مجتمعهم ، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم حاملٌ لتبعات أخيه المؤمن ، ومحمولٌ على أخيه ، فيُسأل عن نفسهِ ويُسأل عن غيره ، وهذا من أكبر العوامل في معالجة الغُلُوِّ والتَّطرّفِ في المجتمع الإسلامي .

وهذا قانون من قوانين الاجتماع الراقي ، ومن المقومات التي تُوفر الحياةَ السعيدة الكريمة للأمة ، وتوفر لها المناخَ الملائم لأداء دورها في الحياة!! .

وقد أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى شعبتي التكافل الاجتماعي ودعا المسلمين إلى القيام بهما :

أما الشُّعبةُ الأولىٰ : فهي الجانب الأدَبي والخُلُقي في التكافل ، وهذا يُبرزُ تكافلَ المسلمين وتعاونهم على إحقاقِ الخير وتأييدِهِ ونُصرتهِ ، وكسرِ شوكة الباطل ، واجتثاث جذوره ، والقضاء عليه ، إنه دعامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقولُ اللهُ تبارك وتعالىٰ : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] .

إنَّ سنةَ اللهِ تبارك وتعالىٰ في المجتمعات هي أنَّ أفرادَ المجتمع إنْ لم يُسنِدوا أولي الأمر في محاربة الباطلِ ، وإقامة العدل ، والأخذ على أيدي الظلمةِ والفَسَقَةِ ، وأصحاب الغُلُوِّ والتَّطرّفِ والإرهاب ، إنْ لم يقوموا بما كلّفهم اللهُ تبارك وتعالىٰ استشرى الباطلُ ، وشاعَ الغلو ، وانتشر التطرف ، وعجز السلطان عن تنفيذ الأحكام ، فكان مصيرُ الأمة الدمارَ والخراب ، قال الله تباركَ وتعالىٰ : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [هود: ١١٦] .

أي فهلاّ وُجدَ من الأمم التي أهلكناهم من قبلكم ﴿ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ ﴾ أي أصحابُ طاعةٍ وصلاحٍ وبصيرةٍ ﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾؟ والمرادُ بهذا النفي ، أي : ما كان ذلك فيهم ، لذلك استوجبوا العذاب والهلاك ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ أي لكن قليلاً ممن أنجيناهم نَهُوا عن الفساد ، فنجوا من الهلاكِ والعذاب ، وهم المؤمنون أتباعُ الرسل عليهم السلام ﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ ﴾ أي : استمروا على ما هم فيه من الترف وفعل المعاصي والمنكراتِ ، ولم يسمعوا لرسلهم فجاءهم العذابُ ﴿ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ .

[هود : ١١٦]

وأما الشُّعبةُ الثانية : فهي التكافل الاجتماعي المادي ، وسبيلها على مستوى المسلم في المجتمع الإسلامي هو أن يمدَّ يدَ المعونة في حاجة المحتاج ، وإغاثة الملهوف ، وتفريج كُربة المكروب ، وتأمين الخائف ، وإطعام الجائع ، وقد حثّ القرآنُ الكريم على هذا التعاون المادي واستنهض الهمم فيه ، فيقولُ اللهُ تباركَ وتعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وهكذا يُقيمُ الإسلامُ بهدي القرآنِ مجتمعاً إسلامياً فاضلاً!!! .

ولكي يقومَ المجتمعُ الإسلامي على قواعد الأمنِ والأمانِ ، لابُدَّ من تهيئةِ دُعاةٍ بصيرين بالمعالجات الإسلامية ، قد تم إعدادهم إعداداً نفسياً ، لتحمل المشاقِّ والمتاعب ، ولا يضجرُ ضجرَ أهلِ الغُلُوِّ والتَّطرّفِ ، ثم إعدادهم إعداداً اجتماعياً ، ليكونَ ألصقَ بمجتمعه ، فإنَّ الدّاعية إذا انفصلَ عن مجتمعه تعطلَ عن القيام بمهامِّ دعوته .

* * *